وبالاخ ضيف عن مجيء الشيب عبر بالضيف عن الشيب ولذلك وصف الشيب بغير محتشم
أي أريد بالضيف الشيب وأريد به الانذار الذي بحتشم وليستحيي قوله لو كنت أعلم أنا
ما أوقره .: أي أعظمه قبل ظهوره كتمت سرا بدا لي منه بالكتم ولو علمت ذلك
لصبغته بالكتم لئلا يظهر فيه أثر الشيب الكتم نبات يصبغ به وصباحته
أحمر قوله من لي برد جماح من غوايتها كما يرد جماح الخيل باللجم ،

فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها إن الطعام يقوي شهوة النهم ،

قوله من لي برد جماح من غوايتها لما ذكر امتناع نفسه من قبول النصح بالقول من الناصح
وقبول وعظ الشيب بلسان الحال استفهم هنا على جهة التشكي باستصعاب
رد نفسه من غوايتها أي من ضلالها في الخطأ وغلبتها عليه فقال من لي أي أي شيء
يكفل لي وينوب عني في رد نفسي بالمجاهدة السالكة العقلية فيما لا يعني من غوايتها
أي من جهلها في الكلام كما يرد الخيل الجامحة أي السائرة على غير قصد من كبحها
باللجم الكائن في أفواهها والجماح والجموح هو السير على غير قصد وعلى غير صواب
والصواب هو الدخول في الحكم والتعالج عليه واللجم جمع لجام وهو معروف
قوله فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها .: لما قال أي شيء يكون لي معينا على رد
نفسي علم أنه ينبغي التنبيه على أن الأزجر لموافقتها على المعاصي والتشنيع منها
فقال فلا ترم بالمعاصي أي لا تقصد ولا تطلب كسر أي قطع شهوتها بالمعاصي
أي بموافقتها على المعاصي لعلها تشبع فإنها لا تشبع بذلك بل يزيد نهمها وتشتهي
وجه المعاصي ويقويها كما يقوي الطعام شهوة النهم وهو كثير الأكل كثير
الشهوة في الطعام والشراب حتى صار له عادة النفس بذلك تزيد في الأكل

لأن الأمور الشهوة والالتذاذ بعضها بالعض جملة مجتمعة بحيث
أن تنتهي وتتركها ولذلك شبه النفس بالطفل

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

٢١

قوله والنفس كالطفل إن تهمله .: أي إن تتركه شب أي كبر على حب الرضاع وإن تفطمه
ينفطم أي وإن تتركه أي وإن تهمله وتمنعه الرضاع ينقطع أي يقطع عنك في انقطاعه
وانفصاله وإن تتركه للرضاع فكذلك النفس إن تمنعها المعاصي تمتنع وتنفطم
وإن تتركها فلا تنقطع عنها قوله فاصرف هواها أي ازجرها عن هواها أي هو النفس
وامنعها منه تصلح وتملكها فإن النفس عدوة وإن الانفس مجاهدتها مجاهدتها
لهذا ينبغي مجاهدتها الأكبر جهاد الكبير كما جاء في الحديث ومن تولى هواها
تبعه ووافقه يصم أي يهلكه يقال أصمت الصيد إذا قتلته الرمي في
مقاتله ولا صماء أي إنفاذ المقاتل ومنه قوله عليه الصلاة كل ما أصميت ودع
ما أنميت قوله أو يصم أي يعيبه عيبا يوجب إلى أهلاكه أو الوصم وهو العيب كالصدع
وهو الشق في الجدار التحريف أصح يصمي إهلاكه وصم يصم وصمه

وراعها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم ،

كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر أن السم في الدسم ،

قوله وراعها أي احفظ نفسها تحت قيد النظر وتحقيقه وهي في الأعمال سائمة
الواو واو الحال أي راعها في حال كونها أي داخلة أو مستغلة في الأعمال خالصة
لله لا رياء فيه ولا سمعة ولا عجب فوافقها عليه ومتى تحققت فيه من نفسك
رياء أو سمعة أو عجبا من العمل فامنعها الله وهذا معنى قوله وإن هي استحلت
المرعى فلا تخلها ويريد فإن استحلت النفس المرعى أي الشيء المحمود مثلا والتذت
لكونه لرياء وقصدته لذلك العمل أو عجب فاقطعها عنه لأنه يسلبها لأن أوقعها
ونفسك في سمعة أو رياء لأن النفس لذا أرسلتها في المرعى بحرد فلا تسم يتبع
الثناء والمدح العيسى وهو لاثني بمعنى لا تسم النفس في ذلك المرعى بل تنتهي عنه وتنجي
بالمرعى عن الجهلاء بالوجه من الأخذ في العمل وأصل الرعي والوسم في الغنم قوله
كم حسنت لذة للمرء قاتلة يعني كثيرا ما حسنت النفس للإنسان من الأعمال حال كونه
لذة قاتلة عجيبا في ظاهره مهلكة في خفيته لأجل ما فطرت به النفس من الميل

البعي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)